وحدة...

بسام الوردي

وحيدٌ إذن
سيّدي الماء؟
لي غربة الصّبر. أشجارُه اتّسقت
غرفة في الزّمان
فأسميتها الأربعاء..
ولي وحشتي دمعةٌ تلمع الآن.
.. قرطاً بأذنيكِ
ـ سوداء ـ قُدسها هاجس
مترع بالنّداء
سيّدي الماء..
سيّدتي.
أيّها العطش المستحيل
ويا امرأة الغفوة المستحيله
إنّ لي جدولاً مضمراً قد يسيل
ترقّبته في خطوط الأكفّ النحيله

* * *

مسحت على جبهتي كي أُصلّي
وكان وضوئي غبار الغريب المسافر
تعبّدتُ في طرف الكون
إنّ الهياكل مرسومة عندها
ها هنا في هلال الأظافر
وإنّ مُصَلّايَ منها القلامه
أستجير بها..
أستعيض بها.. عن جناحي المغامر

* * *

سيّدي.. سيّدي الماء
مهلاً أجبني
كيف في نقطة جمعتَ البحار القصيّه!؟
وكيف تمكّنت من كافر أن يصلّي
وحرّكت فيه الّذي لا تحرّكه المعجزات
الخفيّه
وحيدٌإذن؟
أبداً
إنّ تاريخ كلّ الخلائق ينهض في جسدي الآن
ويخرج جيش المحبّين من وجعي
اسمعي!
إنّ جيب الصعاليك يصلح للنوم
والخيمة البدويّة لا تعرف الانفراد
اسمعي!
هذه خيمتي
ترك الشّعراء بها نبضهم..
والكؤوسَ الأخيره
وائتمنوا أدمعي
اسمعي!
إنّ ذا الوثني
إذا ما انحنىٰ لضياء المحبّه
واستطعم الماء في الكائنات الحبيبه
لا يدّعي..

بغداد

ـ ماذا؟... آه... من سنوات... نعم...
ـ آه... ماذا أرى؟ عُدّة رقع شطرنج...

بحركة مسرحيّة بدأ التحديق في الرفّ الأوّل من الكتب.. قال بتعجّب وهو ينظر إلى تمثال نصفي لمكسيم غوركي: آه عمل رائع... رائع..

التفتَ إلى صورة فوتوغرافيّة للقاصّ تشيخوف قائلاً: هذه الصّورة لمن؟

قلتُ بتعجّب شديد مع نفسي: ماذا يقصد لمن؟... قلت: إنّها لتشيخوف. أطلق ضحكته القصيرة الجافّة، وحنى رأسه، وقال بخجل: أوه يا لغبائي. وأضاف معيداً حركته الممجوجة بالتربيت على كتفي:

ـ أيّهما تحبّ أكثر غوركي، أم تشيخوف؟
ـ كليْهما...

غمغم، وهو ينحني بامتداد قامة المكتبة.. قال:

ـ هذه الصّورة لمن؟... حتماً إنّها لفيلسوف كبير.. أليس كذلك؟
ـ لالا يا سيّد مصعب.. هذه صورة تشايكوفسكي... موسيقار..

أطلق ضحكة هزليّة، وقال ماطّاً عنقه القصير: يا... لـ... غبا... ئي... ضحكتُ أنا الآخر بقوّة للطريقة التي لفظ بها كلمة: يا لغبائي، وشاركني بدبلوماسيّته الرّشيقة بضحكة جميلة، وقال: السيّد بديع، أريد أن أعترف لك بتواضع شديد أنّني جديد في عالم الأدب.. جئتُ إلى الوالد ليختصر لي الزّمن بخبرته، وثقافته... أقصد ليرشدني...

ربّت على كتفي وانصرف إلى الرفّ الثاني من الكتب... قلتُ لنفسي وأنا أراقبه:

ـ هل السيّد مصعب عبد الرّحمن يمزح معي، أم أنّه جديد فعلاً في عالم الكتب، أم أنّه يمرح ويزجي الوقت ريثما يجيء والدي؟...

أخرج ورقةً وبدأ بتسجيل أسماء عدد من الكتب... وكان بفرح طفولي يردّد:

ـ يا لهذه الرّوائع!.. هل بالإمكان الحصول عليها؟ أين؟ ما هذا الكتاب: **الذات والموضوع**. آه... هذا **الحرّيّة والضرورة**...